الدرس الرابع عشر

التعليق على أمثال القرآن

الشيخ مشهور بن حسن ال سلمان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وصحبه أجمعين

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: **ثم أخبر سبحانه (أنه عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) وهذا نظير قول شعيب عليه الصلاة والسلام (إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلاّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) فقوله: (ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها)) نظير قوله: (ناصيتي بيدك) وقوله: (إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) نظير قوله (عدل في قضاؤك) فالأول ملكه والثاني حمده وهو سبحانه له الملك وله الحمد وكونه سبحانه على صراط مستقيم يقتضي أنه لا يقول إلا الحق ولا يأمر إلا بالعدل ويفعل إلا ما هو مصلحة وحكمة وعدل فهو على حق في أقواله وأفعاله فلا يقضي على العبد ما يكون ظالما له به ولا يأخذه بغير ذنبه وينقصه من حسناته شيئا ولا يحمل عليه من سيئات غير التي لم يعملها ولم يتسبب إليها شيئا ولا يؤاخذ أحدا بذنب غيره ولا يفعل قط**

مالا يحمد عليه ويثنى به عليه ويكون له فيه العواقب الحميدة والغايات المطلوبة فإن كونه على صراط مستقيم يأبى ذلك كله.

قال مُحَمَّد بن جرير الطبري وقوله: (إن رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول إن ربي على طريق الحق يجازي المحسن من خلقه بإحسانه والمسيء بإساءته لا يظلم أحدا منهم شيئا ولا يقبل منهم إلا الإسلام والإيمان (ثم حكى عن مجاهد (من طريق شبل عن ابن أبي نجيح عنه: (إن ربي على صراط مستقيم) قال: الحق وكذلك رواه ابن جريج عنه .

إن الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله، أما بعد:

نصيب اليوم من الدرس ليس مثلاً وإنما هو استطراد من الإمام ابن القيم حول مفهوم آية: (إن ربي على صراط مستقيم).

وذكر هذا الاستطراد بعد المثل المذكور في سورة النحل وفيه: (ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم). فجاء بالصراط المستقيم وبيَّن معنى الصراط المستقيم.

في كلام بديع مهم لابد لكل طالب علم أن يرعاه وأن يفهمه وأن يرسخ ذلك في وجدانه وفي قلبه وعقله. قال: ثم أخبر سبحانه أنه على صراط

مستقيم وهذا نظير قول هود والآيات التي معنا هي من سورة هود، وذكر الله تعالى الصراط المستقيم (إن الله على الصراط المستقيم) في النحل وهود فقط بهاتين الآيتين لا ثالث لهما.

الله جل في علاه على الصراط المستقيم.

ما معنى أن الله جل في علاه على الصراط مستقيم؟

وماذا يمكن أن نفهم من لوازم هذه الآية.

هذا الذي تعرَّض له ابن القيم فذكر فيما سمعتم معنى الصراط المستقيم ثم ذكر بعد ذلك أقوالاً أُخرى كثيرة وكلها ليست باطلة وإنما هي حق وليس كل من قال الحق صنع العدل، وهذا هو فحوى الصراط المستقيم.

فحوى الصراط المستقيم أمران:

الأمر الأول: الحق.

الأمر الثاني: العدل.

ولا يُدرك الحق مع العدل مقرونين يسيران في مهيع واحد وفي طريق واحد إلا العلماء الراسخون، وغير الراسخين يقولون حقاً تارةً ويصنعون عدلاً أُخرى، وقلَّ أن تجد الحق مع العدل معاً، وهذه مصيبة انفكاك الحق عن العدل

موجودة عند كثير من طلبة العلم الذين يحرصون على نشر دين الله عز وجل لكنهم إن قالوا حقاً فإنهم لا يصنعون عدلاً.

ننظر في كلام ابن القيم ونفصل فيه وهو مهم وله آثار مهمة جداً على طالب العلم وينبغي لطالب العلم إن قال حقاً أن يصنع عدلاً، فَقول الحق دون صنع العدل هو ليس الخير بتمامه وكماله وإنما هو جزء منه.

ثم أخبر سبحانه أنه على صراط مستقيم وهذا نظير قول رسوله هود: (إني توكلت الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها). تعليل هود أنه توكل على الله بـ ما من دابة إلا هو سبحانه آخذ بناصيتها. والناصية ما انسدل على الجبين من الشعر، وكثير من الدواب ليست لها نواصي، والمراد كما هو معروف عند العرب، فإذا أراد العرب أن يصفوا إنساناً بذلٍّ وخضوعٍ فيقولون: ما ناصية فلان إلا بيد فلان، ناصية فلان بيد فلان. ففلان الذي بيده الناصية يتحكم فيه كيفما شاء والذي بيده الناصية هو خاضع وذليل له.

فهود عليه السلام لما قال: (إني توكلت على الله ربي وربكم). والتوكل له ركنان التوكل ، كيف يكون الإنسان متوكلاً على الله عز وجل لابد له من ركنين فإذا اجتمع الركنان حصل التوكل.

الركن الأول: الاعتماد على الله أن تعتمد على الله جل في علاه.

الركن الثاني من التوكل: أن تُحسن الظن بأن هذا الاعتماد على الله عز وجل سيأتي بثمرة التي أنت تريدها ممن تتوكل عليه.

الاعتماد عليه واعتقاد أن هذا الاعتماد له ثمرة فحينئذ يقع التوكل.

ماذا علّل هود بتوكله على الله عز وجل؟

قال: (ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها).

الذل التام والخضوع لله جل في علاه، فمن خضع لله وذلَّ إليه واعتمد عليه وتوكل عليه وكان يرجو ثمرة هذا الاعتماد بأن الله يحقق مراده ، فلابد ألّا يلتفت إلى الأسباب، يأخذ بها ولكن قلبه متعلق بمسببها وهو الله جل في علاه، فالأسباب لا تُهدر ، فمن تركها فقد جُنَّ ، والأسباب لا يُعتمد عليها ومن اعتمد عليها فقد كفر.

فالواجب على العبد أن يعتمد على الله، والواجب عليه أن يأخذ بالأسباب وقلبه لا يكون متعلقاً إلا بالله جل في علاه، وهذا في شأنه كله، وقلَّ من يصل إلى هذه المرتبة من الخَلق إلا أصحاب التوحيد السليم، إذا مرضت أو مرض ولدك فتذهب للطبيب وتأخذ الدواء وقلبك ليس معلقاً في الدواء وإنما هو أخذ بالأسباب وقلبك معلق برب الأسباب وهو صاحب الشفاء، فهو سبحانه وتعالى الذي يشفي ، فاليد تأخذ بالأسباب في عملك في رزقك في مرضك في حلِّك في ترحالك في كل أمورك، فالقلب مُعلَّق بالله

وأنت مطلوب منك أن تأخذ بالأسباب، فإن لم تأخذ بها أثمت وإن توكلت عليها توكلاً خالصاً وأنها هي المسبب دون الله عز وجل حينئذ وقع في قلبك شرك مع الله سبحانه وتعالى.

فهنا علَّل هود عليه السلام لقوله: (إني توكلت على الله). قال: (ربي وربكم). ما قال الله يعني ما توكلت على الله قال: إني توكلت على الله ربي. الكفار يؤمنون أن الله هو ربهم، والرب هو المالك وهو المتصرف وهو المربي سبحانه وتعالى، هو المتصرف والرب هو السيد وهو المالك وهاتان الخصلتان يجتمع فيهما المؤمن والكافر، ولكن المربّي فهذا الله يُربي عباده تربية خاصة يمتاز بها المؤمن عن الكافر، بمعنى المربي الله بمعنى أنه المربي فتربية الله لأوليائه وأخصّائه وأحبائه غير تربيته لسائر الخلق، فهنالك أشياء في الرب ما يشترك فيها الصغير والكبير والمؤمن والكافر وهو سيد الجميع وهو مالك الجميع ولكن التربية الله جل في علاه ربى أنبيائه وربى أولياءه وربى عباده المؤمنين تربية خاصة غير أولئك فقال: (إني توكلت على الله ربي وربكم). هذا المقدار المشترك بين ربي وربكم فيه مقدار كبير مشترك وفيه شيء خاص بنهود يختلف عن غيرهم وهو التربية، ولما تيقَّن على أن الله ربه سبحانه وتعالى قال مباشرة معللاً لما قال، قال: من دابة إلا هو آخذ بناصيتها. فأخذ الله لناصية العبد دليل على أنه سبحانه مالكه وأنه متصرف فيه وأنه يفعل فيه ما يشاء. العرب إذا كان عندها أسير فأعتقت هذا الأسير فعلامة

عتقه عند العرب أن يجزّوا ناصيته، فإذا جزّوا ناصيته ثم أطلقوه علم الناس أن هذا كان أسيراً فأُطلق، وهذا علامة من علامات الذل، والمؤمن دائماً ذليلٌ خاضعٌ لله عز وجل، ومن كان ذليلاً خاضعاً لله فإنه لا يخضع لغيره ولا يذل لغيره، فهو وحده قاوم جميع قومه بحسن توكله على الله عز وجل ليقينه بأن الله سبحانه وتعالى هو الآخذ بالناصية. فالعرب إذا وصفوا العبد على وجه الذل قالوا: ما ناصية فلان إلا بيد فلان. هذا مثل عند العرب معروف ما ناصية فلان إلا بيد فلان، ومن بديع هذا المثل أن أشد اختصاص أنواع الدواب من كون ناصيتها بالله إنما هو الإنسان، فالمراد بما من دابة آية عامة تشمل الدواب كلها، ولكن المراد ها هنا الإنسان، الإنسان، وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها المراد به الإنسان خاصة وإلا جميع الدواب كذلك الله جل في علاه آخذ بناصيتها.

والعجيب أن هؤلاء الدواب الله جل في علاه يكتب لهم رزقهم فيأكلون ويحيون ويموتون وبوفق المشيئة القدرية الخاصة بالله أما البشر فأصحاب فهلوة وشطارة في الرزق ويفعلون ويكذبون ويدجّلون ويأخذون بالأسباب وأولاً وأخيراً هم والدواب سيّان فلا يأخذون من رزق الله إلا ما كتبه الله جل في علاه، ولسبب قلة رزقهم وقلة توكلهم على الله سبحانه وتعالى. ثم بعد هذا قال الله عز وجل: (إن ربي على صراط مستقيم).الله على الصراط المستقيم؟ نعم. صراطه مستقيم؟ نعم. أنبياؤه على صراط مستقيم؟ نعم. أولياؤه على

الصراط المستقيم؟ نعم. العلماء الربانيون على صراط مستقيم؟ نعم.السبب أنهم مُتّبعون لأوامر سبحانه وتعالى.

الصراط المستقيم ما هو؟

الصراط المستقيم يُجمل في كلمتين وهاتان الكلمتان مهمتان جداً أن الله جل في علاه قوله حق وصنيعه عدل.

الله جل في علاه قوله حق وصنيعه عدل.

تذكرون في درسنا في تجريد التوحيد قلنا الله عز وجل له إرادة كونية ومشيئة شرعية، الإرادة الكونية والمشيئة الشرعية وما يخص الله من الأقوال والأفعال كلها هي له سبحانه على وجه التمام والكمال فهي موصوفة بالجلال والجمال والكمال لا يلحقها شيء ولا عيب ولا نقص، ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (وليس الشر إليك). وليس شر لله عز وجل. فالله إن أمَر فأمره حق فيما يخص المشيئة الشرعية، فكل أوامره حق، والله إن صنع فيما يخص الإرادة الكونية وكل ما يصنع الله جل في علاه فهو عدل، فالحق والعدل إن اجتمعا وكان الحق والعدل على وجه التمام والكمال كان هذا هو الصراط المستقيم، فالصراط المستقيم محصور بالله ثم من أطاع الله ومن قال حقاً وصنع عدلاً. الناس لا يلتفتون للأمرين، منهم من يقول الحق ولا يصنع العدل، ومنهم من يصنع العدل ولا يقول الحق. من توكل على الله عز

وجل التوكل التام، وفي التوكل اجتماع الأمرين ماذا الله يريد بك؟ وهذا الذي يوافق ما أمر الله عز وجل عباده به، ففي هود تتضمن الآية تضمنا أن الله عز وجل لا يُسلِّم من توكل عليه تمام التوكل إلى أعدائه وهذا هو سر بقاء دعوة الأنبياء إلى يوم الدين ومن سار ورائهم متبعاً سبيلهم، وهذا سر وجود الابتلاء لعباده المؤمنين ولا يفهم هذا إلا العلماء الراسخون.

قيل للإمام الشافعي رحمه الله: أيهما أفضل للإنسان أن يُبتلى أم أن يُمكِّن؟.

فقال سبحان الله وهل يُمكِّن العبد حتى يُبتلى؟

ما في تمكين إلا بالابتلاء، وهذا هو سر قول الله عز وجل: (والعاقبة للمتقين)، وسر قول الله عز وجل: (والعاقبة للتقوى). العاقبة للمتقين ليس لأنهم أفراد أشخاص وإنما لأن التقوى عندهم.

آية وقفت عندها طويلاً كلما قرأتها ونحتاج إن قرأناها أن ننتبه للمَلحَظ الذي نذكره الآن ولا يعرف هذا الملحظ إلا من يفهم اللغة.

أنا اسألكم الله عز وجل يقول: (لا ينال عهدي الظالمين). انتبه! لا ينال عهدي الظالمون ولا الظالمين؟

الظالمين.

لا ينال عهدي الظالمين.

من الفاعل؟

لا ينال عهدي الظالمين.

الظالمين مفعول به، صحيح؟

نعم منصوبة الياء

الفاعل أين؟

العهد.

لما تقرأ الآية أول ما تنظر فيها ما يخطر في بالك إلا أن تكون لا ينال عهدي الظالمون لأن العهد ليس مخلوقا العهد مصدر ليس له إرادة، لكن الإرادة لمن؟ لله الذي وضع هذه السُنة التي لا يمكن أن تتخلف. لا ينال عهدي، العهد هو يبقى يتنقل ولا يستقر إلا في العدل. لا ينال عهد الظالمين، فالعادل هو الذي يبقى وهو الذي يبقى ملكه. العادلون وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون الأربعة، كل ما تنعم به البشرية من تدابير حتى الكفار إذا أخذوا بعض تدابير الخلفاء الراشدين الأربعة فهو في صحائفهم في صحائف الخلفاء الراشدين فجعلوا العدل شاملاً كل شيء.

وذكرت لكم لعلّي في أكثر من مرة نمط الحكم في عهد عمر وإدارة عمر مطلبان رئيسيان لكثير من الجامعات الأمريكية لهذا اليوم.

للآن يُدرَّس الإدارة في عهد عمر والحكم في عهد عمر ونمط عمر للحكم في بعض الجامعات الأمريكية.

حدثني رجل من دار المحتسب قال: قدَّمت رسالة دكتوراة ومطبوعة، مطبوعة من مكتبة المحتسب اسمها الإدارة في عهد عمر. يقول: في امتحان في وقت التخرج عند مناقشة رسالة الدكتوراة قالوا لي كل دراستك لعهد عمر ضعها على جنب، ونسألك وإجازتك على الدكتوراة بناءً على الجواب. وكانت المناقشة في وقت أزمة الخليج. قالوا لو كان عمر أدرك أزمة الخليج فما هو موقفه من أزمة الخليج؟ هذا هو لب الرسالة. فكان الرجل موفقَاً فقال كلمة قال: لو كان عمر موجوداً ما في أزمة خليج أصلاً .عمر ليس ساحراً كما يظن المسلمين، كما يظن الآن كثير من المسلمين المهدي مثلاً الذي أخبر عنه النبي ﷺ، المهدي يخرج عنده عصا سحرية يغير الأحوال يفتح الدنيا كلها. لا، عمر والمهدي وكل الصالحين يفهمون الحق والعدل، فهم على صراط مستقيم وهم على صراط مستقيم لأنهم اتبعوا قول الله عز وجل: (إن ربي على صراط مستقيم). فدينه هو الصراط المستقيم فدينه هو دين الحق وهو دين العدل ليس حق دون عدل وإنما الأمران معاً ، والحق أظهر ما يكون في ما يخص شرعه في ما أمر ونهى في ما حلّل وحرّم والعدل فيما يخص إرادته الكونية فالله ليس بظالم حتى ذاك الإنسان الذي يبدو عليه الصلاح والتقوى وهو ليس صادق مع الله فالله عدل، الإنسان الذي يتمثل

بالصلاح وهو ليس الصلاح نابعاً من داخله هذا لا يستقيم هذا لا يبقى، لذا قال النبي ﷺ في رواية في صحيح مسلم :ـــوالحديث متفق عليهـــ وإن أحدكم ليعمل عملاً حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها. في رواية في صحيح مسلم: وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة ـــفيما يظهر للناس فيما يظهر أنه صالح لكن الله جل في علاه عادل ـــفيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها. فالصراط المستقيم يخص الله جل في علاه يخص تشريعه يخص أفعاله يخص أقواله يخص صفاته يخص أسماءه وهذه كلها مدارها على حق وعدل. قال: هذا نظير: ناصيتي بيدك. قوله: ما من دابة ناصيتي بيدك. وقوله إن ربي على صراط مستقيم هو العدل عدل في قضاؤك. فالأول ملكه قال والثاني حمده. قال رسول الله ﷺ: أحب ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد. لذا يُسن من أدرك ذاك المشهد وهو أعظم مشهد في الدين وهو عرفات في الحج أن يلهج لسانه بأن يعترف بأن الله هو المالك وأن الله هو الذي له الحمد، لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. الله جل في علاه كما أخبرنا قال: وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا. كلمة ربك الكونية وكلمة ربك الشرعية. الصدق في الشرع، العدل في الإرادة الكونية. (ألا له الحكم والأمر) الله جل في علاه له الحكم وله الأمر. له الحكم فيما

شرع، فالحكم حكمه والخلق خلقه، فحكمه حق وخلقه فيما يصنع فيهم عدل فله الحكم والحق وله الأمر العدل، الله عز وجل له الحكم وله الأمر . وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا. فالله جل في علاه فيما شرع وفيما يفعل بخلقه سبحانه وتعالى لا يفعل فيهم إلا المصلحة والرحمة والحكمة والعدل، فهو حق في أقواله وفي أفعاله فلا يقضي على العبد بما يكون ظالماً له به. {مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ}، فالله لا يظلم أحداً ولكن الإنسان يظلم نفسه، فالله لا يأخذ العبد بذنب غيره، ولا ينقصه من حسناته شيئًا ولا يحمل عليه من سيئات غيره {أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ}، ولا يفعل الله -عز وجل- ما لا يُحمد عليه ويُثنى به عليه، وكل صنيع الله -جل في علاه- يستحق سبحانه وتعالى الحمد.

ولذا من أحب الكلمات إلى الله -جل في علاه- الحمد، فإنّ مَن حَمَدَ مَدَحَ، ورد حديث عند ابن ماجة فيه ضعف: (لما يقول العبد الحمد لله، المِلَك يأخذها ويَصعَد إلى الله، يقول يا رب حمدك فلان، ماذا أصنع؟ فيقول الله -عز وجل- له اكتبها كما قال وأنا أجازيه بها يوم القيامة).

الحديث: (أنَّ عبدًا مِن عبادِ اللَّهِ قالَ: يا ربِّ لَكَ الحمدُ كما ينبَغي لجلالِ وجهِكَ ولعَظيمِ سُلطانِكَ فعضَّلَت بالملَكَينِ فلم يدرِيا كيفَ يَكتبانِها فصعِدا إلى السَّماءِ وقالا يا ربَّنا إنَّ عبدَكَ قد قالَ مقالةً لا نَدري كيفَ نَكتبُها قالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ وَهوَ أعلمُ بما قالَ عبدُهُ ماذا قالَ عَبدي قالا يا ربِّ إنَّهُ قالَ يا

ربِّ لَكَ الحَمدُ كما ينبَغي لجلالِ وجهِكَ وعظيمِ سُلطانِكَ فقالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ لَهما: اكتُباها كما قالَ عَبدي حتَّى يلقاني فأجزيَهُ بِها).

الراوي: عبدالله بن عمر | المحدث: الألباني | المصدر: ضعيف ابن ماجه الصفحة أو الرقم: 763 | خلاصة حكم المحدث: ضعيف).

فالحمد بين الأقوال كالصبر بين الأخلاق وكالصوم بين العبادات، لا يَعرِف جزاء الحمد إلا الله، والحمد هي أحب كلمة إلى الله في الدار الآخرة، وأما في الدار الدنيا أحب كلمة إلى الله (لا إله إلّا الله)، فالإنسان هذه دار ابتلاء فاذا نجحت في الابتلاء فقلت (لا إله إلّا الله) فإذا قبضك الله من هذه الحياة فإن أول ما تسمع وأنت ميت وأنت ما زلت تسمع قبل أن يَنفَصِلَ سَمعكَ عن هذه الحياة وأنت ممدد بين الناس أول ما تَسمع الحمد لله رب العالمين (قراءة الفاتحة)، ولذا العلماء يُكَرِّهونَ قراءة دعاء الاستفتاح في صلاة الجنازة، وأول ما تقول الحمد لله وآخر كلام العبد وهو في الجنة وكلما مضى عليه وقت في الجنة ازداد نعيمه، الروتين غير موجود في الجنة، فكما أخبرنا الله –عز وجل– عن أهل الجنة قال: {وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ}.

ماذا يمكن للعبد أن يقول وهو يتنعم في جنته سبحانه؟

ماذا يجد كلمة يمكن أن يقولها لله عز وجل؟

الجواب: قال: {وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ}.

لذا قال العلماء: (الحمد لله) هي أحب كلمة إلى الله في الدار الاخرة، لأنك في الدنيا خلاص قُلتَ (لا إله إلّا الله) فالآن وقت جزاء، فهذا الجزاء هو للمؤمن، فالمؤمن لما يتنعم بالجزاء بكل ألوانه وأشكاله فلا يجد إلا أن يكون آخر كلامه (الحمد لله).

هذا المثل الحسن الذي ضربه الله تعالى لنفسه، قال: {وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ} في سورة النحل، وقال في سورة هود ها هنا قال: {إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ}. وفي النحل: {لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ}، عزيز حكيم أيضا تحتاج الى وقفة، ووقفة عزيز حكيم تلتقي مع الحق والعدل، الله عزيز.

ما معنى عزيز؟

قال العرب: مَنْ عَزَّ بَزَّ، ومعنى من عز بز أي مَن غَلَبَ سَلَب، فهو العزيز الغالب، الله غالب، ما من أحد يمكن أن يغلب الله، فالمراؤون والكذابون والذين يتقربون إلى الله بالزُلفى وليس صدقاً إلى الله، الله غالبهم وسيجازيهم ما يستحقون، فالله مع قوته وهو مع غلبته -سبحانه وتعالى- حكيم.

يا رب لك الحمد، يا الله لك الحمد، فأنت القوي وأنت الغالب، ومع أنك الغالب فأنت حكيم، الغالب غير الحكيم مثل الدول الكبرى هذه الأيام، ما

في حكمة، يحطمون الناس حطماً، فيغلبوا أصحاب قوة، فالله عزيز لكنه حكيم، حكيم يجازي بعدل فهو صاحب الحق وهو صاحب العدل، الحق والعدل مجتمعان له، لذا النّبي -صلّى الله عليه وسلّم- في سنن أبي داود سمع رجلا كنيته أبو الحكم، فقال: (الحكم الله)، وأمره أن يغير الكنية؛ العدل المطلق لله ما يجوز الانسان يسمي نفسه أبو الحكم، الحكم أي العدل، والعدل المطلق لله والحق المطلق لله، ما يوجد أحد إن قال كلاما فكلامه كله حق كائناً مَن كان، لذا من أراد الصراط المستقيم وأن يكون عليه راكباً له متمكنا منه لابد أن يُحَكِّمَ الوحي، وتحكيم الوحي إنما هو تحكيم القرآن وتحكيم السنة النبوية، لأن السنة النبوية وحي كما قال هشام بن حسان، هشام بن حسان التابعي الشامي كان يقول كلمة ينبغي للمسلمين أن يحفظوها وأن ينشروها ما من مجلس إلّا ويقولوها، هشام بن حسان التابعي الشامي الكبير كان يقول: (إن جبريل -عليه السلام- ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن)، السنة وحي السنة ليست من عند النبي -ﷺ- من اجتهاده، هي من النبي -ﷺ- لكن (إن هي إلّا وحي يوحى)، هي وحي، فكل الخير كله في الحق والعدل، المتَمَثِّل بالصراط المستقيم، والصراط المستقيم {إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ}، الأصل المطلق في موضوع إنّ ربي على صراط المستقيم إنّما هو {إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ}.

فكل شيء يُعزى إلى الله ويُعزى إلى دينه وثبت بدليل النقل الصحيح لا بالتشقيق والتخريج والرَّد الذي هو من مصلحة الفقهاء، فالفقهاء يصيبون ويخطئون، فما أصابوا فيه وكان من دين الله فهو على الصراط المستقيم، وما اخطأوا فيه بذلوا جهدا فهم لهم أجر، لكن ليس كلام البشر ككلام غيرهم، لذا مالك انتبه بعد حين من الفتوى، فكان يُسأل ويجيب، والإجابة قسمان بالوحي تارة -إذا كان فيه وحي-، وتارة بالرَّد والاجتهاد والتشقيق والتفريع، فكان يقول: (وددت لو أني جُلِدتُ بكل مسألة أفتيتُ بها من غير دليل)، يريد يبقى على الصراط المستقيم، لكن الناس لا بد لهم من أجوبة، وهذه الاجوبة لابد منها، ولذا إذا اجتهد الحاكم فأصاب في الصحيح (صحيح البخاري) فله أجران، وإن اخطأ فله أجر، فهو له أجر على الصواب وله أجر على الاجتهاد، فاذا اجتهد فاخطأ فله أجر وإذا أصاب فله أجران، فالخلاصة إن ربي على صراط مستقيم في الوحي، الصراط المستقيم في الوحي، وإن ربي -عزَّ وجلَّ- عليه.

ومُراد إنّ ربي على صراط مستقيم كما يقول ابن جرير: (إن ربي على الطريق الحق يُجازي)، انتبه (إن ربي على طريق الحق) قال بعدها مباشرة: (يُجازي المحسن من خلقه بإحسانه، فهو حق وعدل، يُجازي المحسن من خلقه بإحسان والمسيء بإساءته، عادل،: ليس المحسن كالمسيء، يُكمل ابن

جرير: (لا يظلم أحداً منهم شيئا ولا يقبل منهم إلّا الإسلام له)، الشيخ: تستسلم له -سبحانه-، يُكمل ابن جرير: (والايمان به).

ثُم حكى عن مجاهد {إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ} الحق، فالصراط المستقيم حق وعدل.

هل من أقوال أخرى؟

الجواب: نعم هناك أقوال أخرى، نسمع الأقوال الأخرى.

قال ابن القيم: (وقالت فرقة: هي مثل قوله {إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ} وهذا اختلاف عبارة، فإنّ كونه بالمرصاد هو مجازاة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته).

نقف عند هذه وقفة، قالوا: {إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ} كقول الله -عز وجل-: {إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ}، معنى إن ربك لبالمرصاد: العدل، يعدل ربك -عز وجل- فلا يُسَوِّي فيما يصنع بعباده بين المحسن والمسيء، فهو بالمرصاد للناس.

إنّ ربي على صراط مستقيم قلنا حق عدل، لكن إنّ ربك لبالمرصاد يتضمن إنّ ربي على صراط مستقيم وليست هي كل الصراط المستقيم، لماذا يتضمن؟

الجواب: الصراط المستقيم طريق الخير فهو حقٌ وعدلٌ، إن ربك لبالمرصاد عدلٌ، ومِن معاني الصراط المستقيم إن ربك لبالمرصاد وزيادة، لأن (إن ربك لبالمرصاد): عدلٌ، والصراط المستقيم حقٌ وعدلٌ، فَ (إن ربك لبالمرصاد) يتضمنها قول الله -عز وجل-: {إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ} حقٌ وعدلٌ يساوي الخير، المؤمنين كما أخبر الله في سورة النحل، -سورة النحل يسميها السّلف: (سورة النِّعَم)-، كلها نِعَم، الله يقول فيها {وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُواْ خَيْرًا ۗ} قالوا ماذا؟

الجواب: قالوا خيراً.

ماذا يعني خيراً؟

الجواب: المؤمن إذا سُئل ماذا أنزل ربك؟

لا تقل حقاً، بل قل خيراً، والخير حقٌ وعدلٌ، لو قلت حقاً لأصبتَ لكن إجابتك تحتاج لتتميم، الله -جل في علاه- إذا قيل للمؤمن ماذا أنزل ربك؟ قل خيراً (هي الصراط المستقيم).

لذا حذيفة في صحيح البخاري سأل النّبي -صلى الله عليه وسلّم- كلمة صغيرة قالها تدل على فهمٍ دقيقٍ وفقهٍ عميقٍ في الدين، قال: (يا رسول الله هل من بعد هذا الخير من شر؟)، الشر جعله مقابل الخير، من بعد هذا الخير، الخير الذي يعيشه حذيفة، هل من فتن بعدها؟، سَمَّى الدين الذي

عاشه الدين خيراً، لأن الدين هو العادات يُسمى عليها الدين، مثال: {مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ} في سورة يوسف، دِين الملك: دين الملك أي العادات؛ مثال آخر: (إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه) هل ممكن يأتينا رجل لا أرضى دينه؟ غير ممكن، ماذا يعني؟ لا أرضى الإسلام؟ معاذ الله، لا أرضى الإسلام؟ معاذ الله، بل المقصود العادات والتقاليد التي يفعلها اسمها دين، أي إذا أتاكم من لا تقبلون أخلاقه وعاداته وتقاليده، فإذا أتاكم من ترضون دينه فزوجوه؛ ولذا سَمَّى حذيفة (هل بعد هذا الخير؟)، وكانوا ينعمون بخير، فكل شرٍ يقع في المجتمع إنَّما هو بسبب الحَيْدَة والبُعد عن الدين، وبمقدار هذا الشر نخرج عن الصراط المستقيم.

الآن اسأل وأريد أن أوضح، لعلي اتكلم بكلام غير واضح عند كل الأخوة كما أُحب، وأُمثِّل..

موضوع الحق والعدل مجتمعين هذه سُنة لله في كل شيء، فسنن الله – وهي الباقية ولا يمكن أن تتخلف أبداً – يجمعها أنَّ فيها حقاً وأنَّ فيها عدلاً.

والحق والعدل إن افترقا يصبح في تشوه في الصورة، وقلت لكم العلماء الربانيون ينتبهون إلى الحق مع العدل.

أضرب أمثلة سهلة، ثمَّ أُمثِّل بمثال آخر ..

الأيام التي نعيشها أيام مطر، المطر ينزل، وأنا أسأل واحد منكم فأقول له: كيف حالك؟ فيجيبني بقوله: المطر نازل.

والمطر نازل.

قال حقاً أم باطلاً؟

قال: حقاً.

هل صنع عدلاً؟

ما صنع عدلاً.

لماذا لم يصنع عدلاً؟

لأن ليس هذا جواب سؤالي.

سؤالي كيف حالك، تقول المطر نازل!

المطر نازل صحيح، وأنا أقول المطر نازل حق، لكن ليس جواب سؤالي أن تجيبني بكيف حالك فتقول المطر نازل.

انتقل إلى مثل شرعي.

فأسأل أنا الآن واحد من الطلبة سؤالاً، فأقول له: ما هو الدليل على أنَّ من نام انتقض وضوؤه؟

فيجيبني قال: قال الله تعالى: [قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد].

قوله حق أم باطل؟

حق، فالله أحد والصمد: الذي تصمد إليه كل الأشياء، لذا قالوا لا يأكل ولا يشرب، ومعنى لا يأكل ولا يشرب لا يحتاج لأحد والناس بحاجة إليه، تُصمّد اليه الأشياء، فهي جزء من المعنى –معنى لا يأكل ولا يشرب–

لذا قلت لكم والكلام الذي أقوله مهم أن يُنتبه إليه، أن الأصل في أقوال السلف في التفسير محمولة على اختلاف التنوع. كل أقوال السلف صواب، لو جمعت كل أقوال السلف في الله الصمد تجد أقوال كثيرة، وكلها مردها إلى أن تصمد إليه الأشياء، لا جوف له؛ لا يأكل ولا يشرب؛ المعنى واحد.

أزيدكم شيئاً آخر، وهذا الشيء خفي، واقترحته على بعض من كتب من الطلبة في حُجية قول الصحابي، أقوال الصحابة –في فهمي– في الفقه الأصل فيها ليس اختلاف التضاد، الله عَلَقَنَا بالصحابة والتابعين وتابعيهم، ونحن ننتسب إليهم انتساب شرف وانتساب منهج، منتسبون إليهم لأن النجاة في منهجهم، فالأصل إن اختلفوا أن يكون الأصل في خلافهم أنه اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد، و مشروع أن تجمع أقوال الصحابة في

المسألة الواحدة وأن تربطها باختلاف التنوع وأن من قال شيئاً أصاب في حالة -على أن تكون للمسألة حالات وفروع- وأن يكون القول كلها صواباً مشروع يحتاج إلى جهد كبير وإلى جمع وهو يحتاج إلى مشروع العمر. نخرج من هذا نرجع للذي كنا فيه.

سألت سؤالاً فقلت ما هو الدليل على أنَّ من نام انتقض وضوؤه؟

فقال لي قائل: [قل هو الله أحد * الله الصمد]

قلت له قولك حق، ولكن صنيعك ليس فيه عدل.

ليس عدل .

ما هي صلة النوم بقل هو الله أحد! ، ما في صلة لا بالتضمن ولا بالنص ولا بالفحوى ولا مفهوم المخالفة إلى آخره..

اليوم الناس قلَّ من انتبه إلى السنة التي لله جل في علاه، سنن لله لا نعرفها إلا من القرآن، وإلا من السنة، وبفهم عميق وباستقراء ما يجري في التاريخ، العلماء لما يذكرون أشياء فيستقرؤون، فهذه موضوع أن يكون عقلك، تفهم السنن فهماً جامعاً، فيكون عقلك وقلبك قد تعلَّق بالحق والعدل.

اليوم فيما يجري في غزة مثلاً، غزة فيها حق وفيها باطل، ولذا وقع اشتباه عند كثير من الطلبة، كون أهل غزة أهل إيمان وأهل إسلام، وهم في دائرة

الإسلام الواجب علينا أن ننصرهم وأن ندعو لهم وأن نبذل كل ما نستطيع، وإلا ما معنى الولاء والبراء!!

وكون وجود قادة وساسة يعلقون الناس بإيران هذا باطل.

فالذي يتكلم اليوم عن الدم الذي يسيل في غزة والذين يقاتلون اليهود بعدم ولائهم والدعاء لهم وصب الغضب على الروافض –يا جماعة الذبح والقتل هناك– ليس عند الرافضة.

يقولون حقاً ولا يصنعون عدلاً.

كلام الرافضة لا نقبله، والكلام في الروافض لا نؤمن بأنَّ الروافض أهل حق، ونمدح كل من يطعن في الروافض، لكن هذا ما ينبغي أن يتعدى إلى ولو كان لهم دعم من قبل الروافض فالآن الواجب علينا أن ننصر أهل غزة.

نسمع كلام شيخ الإسلام قبل سبعمائة سنة، وكلامه اقرأه بالحرف من المجلد الثاني صفحة ثمانين من كتابه منهاج السنة النبوية.

يقول عن الروافض: (**ولهذا لا يوجد في أئمة الفقه الذين يُرجَعُ إليهم رافضي، ولا في أئمة الحديث، ولا في أئمة الزهد والعبادة، ولا في الجيوش المؤيدة المنصورة جيش رافضي، ولا في الملوك الذين نصروا الإسلام وأقاموه وجاهدوا عدوه من هو رافضي، ولا في الوزراء الذين لهم سيرة محمودة واحد رافضي**). انتهى.

لا في السياسة ولا في الدين.

هذا استقراء، هذا كلام ابن تيمية افحصوه، مضى عليه سبعمائة سنة هل هو صحيح أم باطل؟

هذا صنيع العلماء الربانيين.

شيخنا الألباني -رحمه الله- والمشايخ العلماء الكبار في وقت قتال الكفار مع المسلمين ما كانوا إلا مع المسلمين.

في سنة السبعة وستين ألفَّ الشيخ ابن باز -رحمه الله- كتاب الجهاد لفلسطين ودعا إلى نصرتهم.

(الذي يزعم أنَّ شيخنا الألباني لو كان حياً في هذه الأيام سيكون ضد ما يجري للمسلمين في فلسطين واهم ومخطئ ودجال وكداب)، وكل من يتكلم من طلبة العلم في التقليل من شأن دفع اليهود بحكم الروافض، هذا ما خالط العلماء ولا عاش معهم ولا يعرفهم ولا يعرف مدى الرحمة التي في قلوبهم ومدى البُعد الذي عندهم.

فصنع العدل مع الحق أمران لابُدَّ منهما، فكل مجرى ما يجري اليوم إنما يجري بأنهم يقولون حقاً ولكنهم لا يصنعون عدلاً.

حالهم كحال من قلت له كيف حالك؟

فقال المطر نازل.

تماماً نفس الشيء.

فالأصل أن نقول الحق وأن نصنع العدل، ليس الناس كلهم يعرفون التفاصيل والتدقيقات.

وللأسف لما يكون إنسان يصل مرتبة كبيرة في حزب ما، مثل حماس، ويكون جاهل في الشرع هذه مصيبة.

يعني العاروري –الله يرحمه– الذي مات، أنا سمعته بأُذني يقول –وهذا الكلام في تأييد للروافض هو كلام قائم على خرافة، والخرافة ما أنزل الله بها من سلطان– ، قال: كان المسلمون في عهد الأمويين يلعنون عليّاً على المنابر وبقي اللعن موصولاً حتى جاء عمر بن عبد العزيز فمنع اللعن.

هذا خرافة، خرافة كَذَبَها الروافض ويرددونها وما زالوا يرددونها، بل بعضهم يزيد ويفصِّل فيها، يقول لما جاء عمر بن عبد العزيز وصعد المنبر ووصل في آخر الخطبة إلى لعن علي ﷺ ، فقرأ قول الله [إنَّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى]، قالوا سبب قول الخطباء [إنَّ الله يأمر بالعدل والإحسان ..] إنما هو عمر بن عبد العزيز، فغيَّر لعنَّ علي إلى الآية [إنَّ الله يأمر بالعدل والإحسان] وهذه خرافة ما أنزل الله بها من سلطان .

فواحد في عقله هذا الأمر كيف ينظر لأهل السنة؟!

وكيف ينظر للعلماء؟!

العلماء من زمن بني أمية إلى زمن عمر بن عبد العزيز هم كبار التابعين وتابعيهم.

فيُنظر إليهم على هذا الحال !!

هذه مصيبة، أن تتهم جيلاً بتمامه وكماله بالضلال!

اتهام الجيل بالضلال معناه اللازم الذي لا ينفك، أنك قطعت صلة آخر الأمة بأولها، أنك رميتك جيلاً بتمامه بالضلال وعدم الهدى، وهذه مصيبة من المصائب. فبعض الناس يردد كلامًا لا يفهم أبعاده.

فهذا كله مما ننكره، لكن الواجب علينا الآن أن نصنع العدل، والباطل نرده ونتكلم فيه وهذا منهج العلماء، منهج الشيخ ابن عثيمين ومنهج الشيخ ابن باز ومنهج شيخنا الألباني، ومنهج كل العلماء.

أجزم جزماً وأُباهل من شاء من خلق الله، لو كانوا أحياء ما كانوا إلا مع أهل غزة.

وأما الصغار –الذين عقولهم ضيقة– وهم عندهم حرص ويحبون الحق، فنقول لهم جزاكم الله خيراً، لكن المسائل الكبار ليست لكم، اسكتوا، اسكتوا واجلسوا في حلقات العلماء وتعلموا، و وسعوا قلبكم لدخول الرحمة فيه.

اليهود ما يريدون حماس، اليهود يريدون أهل غزة بالتمام والكمال.

وخرافة أنَّ أهل غزة لولا أن فعلوا حماس ما فعلوا لبقوا أهل غزة في أمان وفي خير.

هذه خرافة ما أنزل الله بها من سلطان، يريدون أهل غزة بالتمام، وكل يوم يمضي تسمع تصريحات الساسة عندهم، وترى أفعالهم يقصفون المدارس ويقصفون الصغار ويقصفون النازحين ويقصفون كل الخلق..

ما أدري لماذا لا نربط ما يجري في غزة بما هو مذكور في كتبهم وفي عقائدهم، اليهود لهم رب، ورب اليهود ربٌّ قومي، لهم رب خاص بتعاليم بينهم، والأخلاق عند رب اليهود وفي التوراة والتلمود ، أخلاق اليهود ينبغي أن تظهر فيما بينهم وأما الأقوام الأخرى هؤلاء خُلقوا من أجلهم، من أجل أن يحققوا مآربهم من خلالها و لذا هم ليسوا مأمورين بالإحسان و لا بالعدل و لا بالحق و لا بشيء مع الغير، الغير دابة من الدواب، و الرب لا يأمرهم بأن يصنعوا العدل مع غيرهم، الأخلاق فيما بينهم، ربهم فقط خاص، خاص فيما بينهم، هذا المعتقد موجود عند اليهود، و هذا المعتقد

ينبغي أن ننتبه إليه. فهذه كلمة بمناسبة، و سيأتي تأصيل لكلام ابن القيم؛ نقرأ كلام ابن القيم:

(و قالت فرقة في الكلام حذف تقديره إن ربي يحثّكم على صراط مستقيم و يحثّكم عليه، و هؤلاء إن أرادوا أن هذا معنى الآية التي أُريد بها فليس كما زعموا و لا دليل على هذا المقدّر).

بعضهم قال معنى قول الله عز وجل{ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} (هود:56) يحثّكم على صراط مستقيم، ليس هذا معنى الآية، هذا لازم المعنى، ما دام أنّ الله على صراط مستقيم فلازم هذا أنه سبحانه و تعالى يحثكم عليه، لكنه ليس المعنى، فرْق بين معنى الآية و بين لازم المعنى.

(و قد فرّق الله سبحانه بين كونه آمراً بالعدل و بين كونه على صراط مستقيم، و إن أرادوا أن نحثّه على الصراط المستقيم من جملة كونه على صراط مستقيم فقد أصابوا).

لذا الله عز وجل قال في سورة النحل قال سبحانه و تعالى: { وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }(النحل:76)، فالله فرّق بين الذي يأمر بالعدل و الذي هو على صراط مستقيم، فأنّ الله على الصراط المستقيم هذا لازمه و فحواه أن الله يحثكم على الصراط المستقيم لكن ليس هو معنى الآية.

(و قالت فرقة أخرى معنى كونه على صراط مستقيم أنّ مردّ العباد و الأمور كلها إلى الله لا يفوته شيء منها و هؤلاء أنّ هذا معنى الآية فليس كذلك، و إن أرادوا أنّ هذا من لوازم كونه على صراط مستقيم و من مقتضاه و موجبه فهو حق).

إذن نفس الشيء أن هذا المعنى الذي ذكره أنّ مردّ العباد إلى الله عز وجل و الأمور كلها إلى الله جلّ في علاه هذا من لازم المعنى و ليس هو المعنى، و قول آخر.. إذن هو ما قال هذه الأقوال باطلة و إنما قال هذه ليست معنى الآية و إنما هي لوازم معنى الآية.

(و قالت فرقة أخرى معناه كل شيء تحت قدرته و قهره و في ملكه و قبضته و هذا و إن كان حقاً فليس هو معنى الآية).

لأنه ليس فيه عدل، ليس فيه عدل، كل شيء تحت قدرته.

(و قد فرّق عليه السلام بين قوله { مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا }(هود:56) و بين قوله { إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }(هود:56) فهما معنيان مستقلّان).

إذن و قد فرّق عليه السلام، عليه السلام تعود إلى من؟

إلى هود، و قد فرّق هود عليه السلام، المراد هود، و قد فرّق عليه السلام أي هود لما قال { مَّا مِن دَابَّةٍ } فهو عدْل، {إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} حق، فالمعنى شيء واحد و ليس شيئين.

(فالقول قول مجاهد).

ما هو قول مجاهد قال؟

الحق؛ العدل مع الحق، معاً.

(و هو قول أئمة التفسير و لا تحتمل العربية غيره إلّا على استكراه، و قال جرير يمدح عمر بن عبدالعزيز).

لا، هو حقيقة قول جرير في مدح هشام بن عبدالملك و لا يمدح عمر بن عبدالعزيز، هكذا في الديوان، و أشرتُ لهذا في الهامش؛ في هامش الكتاب، مدْح جرير لهشام بن عبدالملك.

(أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم).

لا، أمير المؤمنين على صراط يمدح هشام بن عبدالملك أنه على صراط قال على صراط مستقيم، أمير المؤمنين على صراط مستقيم يعني صاحب عدل و صاحب حق، و شأن الشعراء أنهم يبالغون في الكلام، (إذا اعوج الموارد) الموارد مفردها مَوْرِدة هي جمع و معناها الطرق، إذا اعوجّت الطرق فهشام

بن عبد الملك على طريق مستقيم، يعني هذا معنى البيت، هذا معنى البيت، طبعاً كما قلت فيه مدح زائد، أي نعم، نسمع..

(و قد قال تعالى: { مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }(الأنعام:39)، و إذا كان سبحانه هو الذي جعل رسله و أتباعهم على الصراط المستقيم في أقوالهم و أفعالهم فهو سبحانه أحق بأن يكون على صراط مستقيم في قوله و فعله، و إن كان صراط الرسل و أتباعه هو موافقة أمره، فصراطه الذي هو سبحانه عليه هو ما يقتضيه حمده و كماله و مجده، من قول الحق و فعله و بالله التوفيق).

و في الآية قول ثان مثل الآية الأولى، دوامٌ أنه مَثَل ضرَبه الله للمؤمن و الكافر، و قد تقدّم ما في هذا القول، و بالله التوفيق.

الفصل الأخير، و في الآية، ما المراد بالآية؟

مَثل ثاني في سورة النحل، فرغم من أن ربي على صراط مستقيم ثم قال فَصْل حتى ينقلك من الكلام عن الصراط المستقيم فرجع إلى الآية الأولى إلى الآية الثانية، الآية في النحل فيها مَثَلين، فقال و في الآية قول ثان مثل الآية الأولى سواء أنه مّثل ضربه الله للمؤمن و الكافر و هناك قال المصنف بكلام واضح أن هذا قول عبدالله بن عباس، و قول عبدالله بن عباس هو لازم

الآية و ليس هو معنى الآية، فالكلام متّسق و متناسق و هكذا ينبغي أن نفهم الكلام. و درسنا القادم نأتي إلى مَثَل جديد.

والله تعالى أعلم.

الأسئلة

السؤال: ما رأيكم في قول بعض الدكاترة: الله متمكّن و عليه فلا نبحث عن الحِكَم و المصالح لأن الله لا يُجبره شيء على فعل العدل.

الجواب: الله متمكن هذا ما أحد يشك أن الله قادر على كل شيء، و نحن نقول أن الله قادر على كل شيء، ولا نقول أن الله على ما يشاء قدير، نقول إن الله على كل شيء قدير، لكن الله عز وجل سبحانه وتعالى متصف بالعدل، منع النبي أن يُسمّى رجل أبو الحكم، ماذا يعني؟ خاص بالله، إنْ حَكَم بين العباد الله يحكم بين العباد و حُكمه عَدل فهذا لازم، لازم أنه عدل و متمكن صحيح بس هذا اللازم، بس الله عدل؟ نعم الله عدل، و الله لا يأمر إلّا بعدل، نعم لا يأمر إلّا بعدل، و النبي قال في حديث أبي ذر في صحيح مسلم: { يا عبادي إنّي حرّمت الظلم و جعلته بينكم محرّماً }، فالله يحرّم الظلم على الخلق.

السؤال: تفسير سورة الفاتحة أن{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ} آية من الفاتحة.

الجواب: ابن القيم في زاد المعاد لما تعرّض للفاتحة قال الله أعلم هل هي آية أم لا، و إن قيلت و هذا القول الراجح عند العلماء هي آية من الفاتحة، و هي آية من الفاتحة و هذه نقطة ينبغي أن أستطرد قليلاً فيها و أختم درسي، في معرض الشارقة في سنة من السنوات وقفتُ على دراسة جادّة لرجل رافضي من المعاصرين يستغرب ممن استنكر على الطَّبَرسي، و الطبرسي إمام من أئمة الشيعة، وأنا أتكلّم مع طلبة علم، في بداية نشأتنا العلمية كنا نقرأ أن الطبرسي شيعي له كتاب يزعُم فيه أن القرآن محرّف، و هذه كبيرة من الكبائر، هذا كُفر و العياذ بالله، ثم تيقّنتُ من ذلك و حصّلتُ الطبعة الأولى في طهران للكتاب، مطبوع أوائل القرن العشرين، له كتاب اسمه (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب ربّ الأرباب)، لعن الله من قال هذا القول، و ليس له حظ من الإسلام، فهذا استغرب، ألّف كتاب معاصر و ذكر الفاتحة و البسملة و نقل من كتب أهل السنّة عدد الآيات و دخل على التحريف من باب الاختلاف في عدّ الآي، و الذي لا ليس له يعني معرفة جيدة بالعلم يغتر بكلامه؛ العلماء يقولون البسملة هي بداية سورة، و الخلاف بينهم هل تُعد البسملة آية أو لا تُعد آية، يعني لما تُرقّم تضع { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ }، قرأنا {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }(الفاتحة:1،2)، تضع الرقم بعد { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } كما هو في مصحفنا أم تضع بعد { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }

رقم اثنين و { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ } رقم واحد، فلم يقع خلاف في القرآن إلّا في طريقة العد، و ليس في القرآن زيادة و نقصان، المصاحف القديمة مصاحف الصحابة مصاحف التابعين و عندنا مصوَّرات منها لا يُرقّمون الآيات، امسك الآن المصاحف العثمانية، و قول كثير من الباحثين يقولون أن المصحف الأصل الأُم في أوزباكستان إدارة مسلمين في أوزبكستان في طشقند، نظرنا المصحف، و كذلك مصاحف أخرى قديمة تعود للقرن الأول و الثاني، فلا يوجد فيها ترقيم، فالدخول على أن في القرآن تحريف كما يزعم الرافضة اليوم باختلاف العد طريقة العد هذا تلبيس و تدليس و هذا كذب، فالفاتحة تبتدئ ب { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ }، لكن الخلاف أن { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ } آية منها أم أنها ليست آية منها، القرآن إذا أردت أن تعرف القرآن من غيره فأول ما تقرأ تقرأ { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ }، إذا سمعت رجل يقرأ { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ } فهذه أول السورة لكن هل هي آية أم ليست آية؟ هذا وقع فيه الخلاف، الخلاف بطريقة العد، طريقة العد اجتهادية، طريقة العد اجتهادية، لذا وقع اختلاف بين العلماء في طريقة عد الآي، و ليس هذا الخلاف دلالة على أن في القرآن تحريف.

وصلت الفكرة؟

طريقة اختلاف العد شيء و أن القرآن فيه تحريف و زيادة و نقصان شيء آخر.

فمن زعم أن في القرآن تغيير أو نقصان فهذا كافر، فهم يَزيدون على القرآن، الروافض يزيدون على القرآن، الذي يقرأ (فصل الخطاب) يجد آيات منسوبة للقرآن الكريم وهي ليست من القرآن الكريم، و ذكر هذا الإمام القرطبي في مقدمة تفسيره، (ألم نشرح صدرك و جعلنا عليّاً صِهرك) هذا كُفر، قال (و جعلنا عليّاً صِهرك) هذه آية من القرآن، هذا كُفر و خروج من الملة، و ابن الأنباري كتب كتاباً يا ليتنا نجده في بيان كُفر من زعم أن في مصحف عثمان زيادة أو نقصان، أي حرف فيه زيادة أو نقصان على ما في مصحف عثمان كفُر مُخرج من الملة.

هذا و الله أعلم و صلى الله و سلم و بارك على نبينا مُحَمَّد و على اله و صحبه أجمعين.

خدمة الدرر الحسان.